

٤. الأخلاق والسلوك

قال تعالى :-

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾

[القلم: ٤]

صدق الله العظيم

obeikandi.com

العالم :

■ الخلق في اللغة هو السجية والطبع والمروءة والدين وقيل : التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء ولقد وصف الله تعالى رسوله الكريم ﷺ :-

﴿وَأَنَّكَ لَ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

■ والسلوك : هو عمل الإنسان الصادر عن إرادة حرة ، فالخلق والسلوك كدال والمدلول فإذا كان السلوك حسناً محموداً كان الخلق حسناً محموداً وإذا كان الخلق للإنسان سيئاً كان السلوك كذلك سيئاً .

ولنا نظرة تشفيينا لمعرفة (القوانين) الربانية للأخلاق ولهم وفورها :

العضو الأول :-

قال الله تعالى :-

﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠] .

العضو الثاني :-

وقال الله تعالى :-

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا

فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

العضو الثالث :-

قال الله تعالى :-

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [١٠٥]

[الأنبياء: ١٠٥]

العضو الرابع :-

وقال الله تعالى :-

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] .

القاضي :

وإن النظام الأخلاقي في الإسلام له خصائص منها : شمل علاقة الإنسان بربه خالقه وخالق كل شيء فالإخلاف سر بين العبد وربّه لا يعلمه إلا الله عز وجل والإسلام شمل علاقة الإنسان بنفسه وبين جنسه (مثله) بل ويمتد ليشمل علاقة الإنسان بكل عناصر الكون فمن خلُق الإنسان المسلمة الرحمة بالحيوان فقد جاء في الحديث الشريف : " دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض " [رواه البخاري] .

كما لا يجوز للمسلم أن يتلف النبات أو أن يخرب الجماد وذلك تحت بند الفساد .

قال الله تعالى :-

﴿وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] .

واستكملوا واجبلتم عليه .

العضو الأول :-

وأن النظام الأخلاقي الإسلامي يُقنِع الإنسان المسلم وعقله ويُرضي جميع مشاعره فما من حُلُق حث عليه الإسلام أو حذر منه يتعارض مع العقل المستنير

أوربما في القلب السليم المليء بنور الإيمان والإسلام فانظروا إلى القرآن الكريم عندما ينهي عن الغيبة وتأملوا الآية :

قال الله تعالى :-

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]

ثم يقول :

﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [١٢]

وقول النبي الأمين صلوات وسلامه عليه حينما يعرف البر والإثم :

" البر ما سكنت إليه واطمأن إليه القلب والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون " [رواه أحمد والطبراني] .

نجد أن طريقة الوعي في القرآن والسنة مقنعة تؤثر في أصحاب العقول المنيرة والقلوب السليمة .

العضو الثاني :-

وإنه لا يكتفي بالحكم علي أعمال الإنسان الظاهرة أو بالشر بالفضيلة أو بالزيلة ولكنه يمتد إلي الحكم علي النوايا والمقاصد فقال النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه :

" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوي " [أخرجه البخاري] .

العضو الثالث :-

وإنه ينظر إلى الإنسان علي أنه مركب من جسد وروح ولكل منهما متطلباته فأخلاق الإسلام لا تجعل الجسد يطغى علي الروح ولا الروح تطغي علي الجسد .

قال الله تعالى :-

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

العضو الرابع :-

والرقابة في النظام الأخلاقي الإسلامي رقابة إلهية ليست كرقابة البشر فالرقيب الذي يجب أن يراعي في القانون الأخلاقي الإسلامي هو الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والقائل في كتابه العزيز :-

قال الله تعالى :-

﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]

وقال :-

﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]

وقال عز وجل :-

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨]

وقال تعالى :-

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَعَلَّمُوهُ مَا نُسْوِسُ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]

العالم :-

لقد ربط الدين الإسلامي الحنيف بين جانب العقيدة منه وبين الأخلاق التي ارتضاها لأتباعه رباطاً وثيقاً وذلك واضحاً من خلال القرآن الكريم وسنة النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه فالإيمان بالله تعالى أساسه أن يكون المؤمن ذا خلقه حسنٌ ومحمود فمن يتصف بالأخلاق السيئة تكون دليلاً علي عدم إيمانه أو دليلاً علي ضعفه وعلي ذلك يمكننا أن نعرف مدي إيمان الشخص بمقدار ما يتحلى به من مكارم الأخلاق ونعرف مدي ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من سوء الأخلاق .

انظروا ما لهذا الأثر النبوي من مبعث علاجي للأخلاق واستشاركم يتضح-

العضو الأول :-

ولقد ربط القرآن الكريم بين الإيمان والأعمال الصالحة والإحسان .

قال تعالى :-

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٤ ﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥ ﴾ [النساء: ١٢٤-١٢٥]

العضو الثاني :-

والنبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه قد أوضح لنا هذه الصلة القوية بين الإيمان وبعض الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة هذا من جانب أو بين النفاق والصفات والأخلاق الرذيلة فقال ﷺ :

" أربع من كن فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خلةٍ منهن كانت فيه خلة نفاق حتى يدعها ؛ إذا حيث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر " [صحيح مسلم] .

العضو الثالث :-

فمقتضى الإيمان أن يكون المؤمن متحلياً بالحياء فقد مر رسول الله ﷺ علي رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ :

" دعه فإن الحياء من الإيمان " [البخاري] .

وفي حديث آخر عن الحياء فقال رسول الله ﷺ :

" دعه فإن الحياء من الإيمان " [البخاري] .

ويقول رسول الله ﷺ :-

" ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيراً "

العضو الرابع :-

والمؤمن دائماً يسعى إلي مكارم الأخلاق يتحلى بها ويتصف بها حتى يكتمل إيمانه ويتقل ميزان حسناته يوم القيامة فيدخل جنة عدن أعدت للمتقين وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم ذلك فحرصوا عليه فعن أم الدرداء قالت :

" قام أبو الدرداء ليلة يصلي فجعل يبكي ويقول : اللهم أحسن خَلقي فحسن خَلقي حتى أصبح .

فَقَلَّتْ : يا آبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق .

فَقَالَ : يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله الجنة ويسيء خلقه حتى يدخله النار والعبد المسلم يغفر له وهو نائم .

فَقَلَّتْ : يا آبا الدرداء كيف يغفر له وهو نائم ؟

قَالَ : يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله عز وجل فيستجيب له ويدعو لأخيه فيستجيب له منه " . [أخرجه البخاري في الأدب المفرد ١ / ٣٨٧]

وَيَقُولُ ﷺ :-

" ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخلق " [أخرجه أبو داود] .

العالم :

ومما سبق نستنتج احتياجات هامة نحو تربية الأخلاق الحسنة الحميدة الفاضلة فهي وسائل تطبيقية لتفعيل وسائل التربية منها : الإرشاد والنصيحة ويتم ذلك عن طريق التعريف بالخلق الفاضل والحث علي امتثاله وتعريف الخلق السيئ والتنفير منه والإرشاد والوعظ في الخلق وبيانه يكون برفق وبما يرقق القلب حيث:

قال المولى سبحانه وتعالى :-

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]

ومن هنا ومن هذا الاستشفاء المستفاد للخلق من أجل الخلق وعليكم

(النصيحة) !!

العضو الأول :-

قال الله تعالى عنه النصيحة والنصح :-

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]

وقال النبي الأمين صلوات الله وسلامه عليه :

" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " . [رواه مسلم] .

العضو الثاني :-

وقال ﷺ : " الدين النصيحة " .

قلنا : لمن ؟ قال : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

[رواه مسلم] .

العضو الثالث :-

وهكذا يتكرر ذكر الموعظة والنصيحة في القرآن والسنة المطهرة باعتبار

أنهما أهم وسائل تربية الخلق وكثيراً ما يأمر القرآن الكريم بالتذكير .

ويقول :

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]

وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [٣٧: ٣٧]

العضو الرابع :-

والنصيحة أيضا ومنها ما هي واضحة الأسلوب في نصيحة لقمان لابنه

حيث يقول الله تعالى :-

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [١٤: ١٤] وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطَعُهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [١٥: ١٥] يَبْنَىٰ إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ [١٦: ١٦] يَبْنَىٰ أَقْبِرِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [١٧: ١٧] وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [١٨: ١٨] وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [١٩: ١٩]

العالم :

ومن هنا ومن هذا المنطلق يجب علي كل إنسان أن يحافظ علي الخلق الحسن الفاضل حيث يولد الإنسان بقلب أبيض كصفحة بيضاء إما أن يكتب فيها خير وهو قبول خلق الخير له وإما أن يكتب فيها شر وهو قبول الإنسان الخلق السيئ دليلاً علي ذلك :

قوله تعالى :-

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [٧: ٧] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [٨: ٨] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [٩: ٩] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [١٠: ١٠] [الشمس: ٧ - ١٠]

وقوله تعالى :-

﴿الَّذِينَ جَعَلْنَا لَهُمْ عَيْنِينَ ۙ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠] .

والمقصود بالنجدين طريقا الخير والشر فعلي الإنسان أن يأخذ طريق الخير وسيلة علي المحافظة علي الخلق الفاضل وطريق الخير هو في الإسلام الدين الحنيف الذي فطر الناس عليها .

قال الله تعالى :-

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكِ ۚ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]